

ان كل ما ذكرناه باطل وان لم تتصور الا الثاني فلا تخدعك نفسك بالاضاليل ، ودع النظر الى ظواهر الامور . واعلم ان ما ترى انه لا بد منه من ترتب الالفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر ولكنه شيء يقع بسبب الاول ضرورة من حيث أن الالفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق . فاما أن تتصور في الالفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وأن يكون الفكر في النظم الذي يتوآصفه البلغاء فكراً في نظم الالفاظ أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر تستأنفه لأن نجيء بالالفاظ على نسقها فباطل من الظن ووهم يتخيل الى من لا يوفي النظر حقه ، وكيف تكون مفكراً في نظم الالفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافاً وأحوالاً اذا عرفت ان حقها أن تنظم على وجه كذا «^(١) فالاديب حينما يكتب لا يفكر بالالفاظ ولا يطلبها وانما يطلب المعنى واذا ظفر به فاللفظ معه ازاء ناظره ومعنى ذلك أن الكلام معان ينشئها في نفسه ، وهي سابقة على التفكير في اللفظ ، لانه لا يتصور « أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الالفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً وانك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك . فاذا تم لك ذلك أتبعته الالفاظ وقفوت بها آثارها وانك اذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج الى أن تستأنف فكراً في ترتيب الالفاظ بل تجدها ترتب لك بحكم انها خدوم للمعاني وتابعة لها ولا حقة بها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الالفاظ الدالة عليها في النطق .

ونفى أن يكون في الالفاظ وحدها فكر ، وقال ان الذي يجعل في الالفاظ فكراً لا يخلو من أحد أمرين : اما ان يخرج هذه المعاني من أن يكون لواضع الكلام فيها فكر ويجعل الفكر كله في الالفاظ ، واما أن يجعل له فكراً في اللفظ مفرداً عن الفكرة في هذه المعاني . فان ذهب الى الأول لم يكلم ، وان ذهب الى

(١) دلائل الاعجاز ص ٤٢ - ٤٣ .